المجاز العقلي في القرآن الكريم من خلال كتاب سيبويه

بحث تقدم به طالب الماجستير عادل هادي حمادي

١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لم يترك سـيبويه للمكتبة العربية غير مُصـنَّفِ واحد ، جمع بين دفتيه كلام العرب الا وهو المؤلف الذي اشتهر باسم"الكتاب" ونال من الانتشار والشهرة مكانة لم ينلها مصنَّف اخر ، لتفرده بما حوى حتى سمَّوه "البحر" و "قرآن النحو" .

وقد اهتم القدماء والمحدثون بالكتاب ودرســوه وناقشــوه وطال بحثهم فيه وبيَّنوا قيمته وعرفوا قدره، ولم يحظَ اي كتاب قبله ولا بعده بمثل ما حظي به كتاب ســـيبويه من اهتمام الدارسـين والمعنيين والباحثين(١) . على اختلاف اتجاهاتهم وتنوع مشـاربهم بحيث لم يمر عصر منذ ظهوره الا ونجد فيه من درسه او كتب عنه او شرحه او شرح شواهده وبين قيمته وعلق عليه .

والذي يتعامل مع الكتاب يجد فيه علوما ومباحث كثيرة، فالكتاب ليس كتاب نحو و صـرف فقط ، بل اشـتمل على مباحث في علم الاصـوات وفيه مباحث في الادب والنقد وفيه مباحث في القراءات ، وفي اللهجات العربية ، كما اشـتمل على مباحث في علم العروض لم تصـل اليها يد البحث إلى الآن , وسـنفرد لها بحثاً مسـتقلا نسـتخرج فيه المباحث العروضـية من هذا البحر الخضمّ إنْ شاء الله .

ولما كان كتاب ســيبويه"قد جمع وحوى كل هذه العلوم فليس بدعاً – اذاً – أن يضــمّ اليها المباحث البلاغية التي جاءت مبثوثة في الكتاب ، فهناك إشـــارات الى مباحث العلوم الثلاثة عند البلاغيين : المعاني ، والبيان ، والبديع .

وقد عاودني التفكير أكثر من مرة في أن اكتب في مسـألة من مسـائل الكتاب , وذلك لولوعي بـه و تجلدي على طول ملازمته و تجملي بالصـــبر عليه ، وآثرت ان أكتب في مبحثٍ من مباحثه البلاغية فكان : المجاز العقلي في كتاب سيبويه .

---

(١) من الباحثين المعاصرين الذين كتبوا عن سيبويه و كتابه واثروا الكتاب بدراساتهم ، الدكتورة خديجة الحديثي ، فلها : ابنية الصرف في كتاب سيبويه ، وكتاب سيبويه و شروحه ، وسيبويه حياته و كتابه ، والشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه ، ودراسات في كتاب سيبويه , وربما هناك بحوث أخر لم اطلع عليها . ولمعرفة من كتب وما كتب عن سيبويه من دراسات ، راجع : سيبويه امام النحاة في اثار الدارسين خلال اثني عشر قرنا ، لكوركيس عواد ، مط ، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م .

ولما كانت طبيعة البحث تتطلب مِناّ ان لا يكون على أبواب و فصول رأينا أن نسلك فيه طريق السرد في الكلام .

وكان مصدري الاول كتاب سيبويه بطبعتيه ؛ بولاق والمحقَّقَة بتحقيق عبدالسلام هارون ، وكتب النحو والبلاغة الاخر . ورمزت لبولاق بالحرف(ب)ولطبعة الهارون بالحرف(هـ) .

وبعد :

فسأدخل الى معترك "الكتاب" لاستلَّ منه بعض مباحثه البلاغية التي أثرى معانيها سيبويه بأمثلته وشواهده التي استقاها من كلام العرب ، وسوف أقف وأطيل الوقوف على أبرز هذه المباحث وأكثرها قيمة ألا وهو مبحث : المجاز العقلي .

المجاز: فن بلاغي قديم عرفه العلماء واستعملوه في كلامهم وجرى على ألسنتهم، فاستعمله الأديب والخطيب والشاعر والناثر والناقد والكاتب وكان القدماء يرون أن إسناد الحياة إلى الجمادات وإسناد صفات الإنسان إلى غيره من الكائنات الحية وغيرها هي من بقايا العقائد القديمة، فالشمس والقمر والكواكب كائن حي في نظر القدماء، والقول بأن السماء تبكي وأن الأرض تضحك راجع إلى هذه العقيدة في أذهان الناس، وهذا ما أغرى بعضهم بتفسير المجاز تفسيراً أسطوريا.

ولذا يرى بعض البلاغيين أن المجاز علم البلاغة برمتها، وأنه أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة، لأن العبارة المجازية تنقل السامع عن خُلقه الطبيعي في بعض الأحيان، حتى أنه ليسمح بها البخيل ويشجع الجبان(٢).

والمجاز: من قولهم: جزت الطريق وجاز الموضع جوازاً وجاز به، وجاوزهُ وأجازه غيره، وجازه وأجازه، وأجاز غيره، وجازه: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى: جزته، والمجاز والمجازة: الموضع(٣).

ومما ينبغي أن نوطئ به لهذا البحث قبل الوصول إلى تأصيل (المجاز العقلي) عند صاحب (الكتاب) هو الوقوف أو المرور سريعاً على أقوال بعض العلماء الذين عاشوا في

---

(٢) فنون بلاغية ٨٤، و أنظر: المثل السائر ١/٦٣،٦٢،٥٧.

(٣) اللسان (جوز)، و أنظر: أساس البلاغة مادة (جوز.

القرنين الثالث والرابع أو الذين جاءوا بعد سـيبويه وذلك لتحديد مفهوم المجاز العقلي الذي بقي عائماً إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) فكمل ببحثه ما بدأه سيبويه ومن تبعه من العلماء والباحثين بعد أن وجد البحوث ممهدة والشواهد منثورة في بطون الكتب وعلى أفواه العلماء، فهذب وشذب، وحقق ودقق.

وبعد أن أحكم نصوصها وأعلى بناءها، ألبسها ثوباً بيانياً قشيباً فكان أول من عقل المصطلح وقيد أوابده فسماه: المجاز العقلي، ثم نثره على صفحات كتابيه، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

وليس من نافلة القول أن نذكر اختلاف العلماء حول توارد المجاز في اللغة وفي القرآن حيث انقسموا فريقين فريق يثبته ويدافع عنه، وآخر ينكره وينفيه.

فأما حجة المنكرين لوقوع المجاز في القرآن الكريم هو أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وهو مستحيل على الله سبحانه، وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف .... ولو سقط المجاز من القرآن؛ سقط شطر الحسن[٤]، كما يقولون.

وأما الذين يرون وقوع المجاز في القرآن واللغة فهم طائفة من العلماء الذين أوتوا حظاً وافراً من العلم والفهم، ومن سلامة الطبع وحسن التذوق وبراعة الاستنتاج والقدرة على تحليل النصوص والتمكن من سبر أغوار التعبير القرآني، وكان على رأس هذه الطائفة: (ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي ت ٢٧٦هـ) الذي تصدى لمطاعن الطاعنين على القرآن بالمجاز وزعمهم أنه كذب وعد ذلك : (من أشنع جهالاتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم)[٥].

وتراه يرد على الذين زعموا أنه كذب؛ لأن (الجدار لا يريد)[٦]، (والقرية لا تُسأل)[٧]، وأشار أن (لو كان المجاز كذباً وكل كلام ينسب إلى غير الحيوان باطلاً، كان أكثر كلامنا

---

(٤) البرهان ٢/٢٥٤، و أنظر: فنون البلاغة ٨٥.

(٥) تأويل مشكل القرآن ١٣٢.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض)) سورة الكهف، من الآية ٧٧.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿واسأل القرية التي كنا فيها)) سورة يوسف، من الآية ٨٢.

فاســـداً؛ لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشـــجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر)[٨].

ولما كان إســناد الفعل إلى الإنســان أو الحيوان قد يكون حقيقة وقد يكون مجازاً، فإن إسـناده إلى غير الإنسـان والحيوان لا يكون إلا مجازاً البتة، وهذا النوع من المجاز هو الذي سماه البلاغيون المجاز العقلي.

ولعل الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـــ) والذي يعد مؤســس علم البيان في البلاغة العربية، هو أول من أطلق تسمية المجاز العقلي بعد أن قسم المجاز إلى مجاز لغوي يقع في المثبت[٩]، ومجاز عقلي يقع في الإثبات[١٠].

قال: ((واعلم أن المجاز على ضـربين: مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: (اليد مجاز في النعمة) و (الأسد مجاز في الإنسان) وكل ما ليس بالسبع المعروف كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة؛ لأنا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصـــلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة وأوقعها على غير ذلك إما تشبيهاً وإما لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه.

ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة))[١١].

وإذ كنا عرفنا لعبد القاهر مزية (التســمية) وعقل المصــطلح فإنا لا نســلم له بالابتداع والابتكار والريادة[١٢]، إلا إذا كان المقصـــود من هذه المصـــطلحات الثلاثة أولية إطلاق

---

(٨) تأويل مشكل القرآن ١٣٢، و أنظر: العمدة ٢٦٦/١.

(٩) المجاز في المثبت معناه المجاز في المفرد، ويســمى المجاز اللغوي، أنظر: معجم المصـــطلحات البلاغية وتطورها ٢١٤/٣.

(١٠) مجاز الإثبات هو مجاز في الجملة، فهو مجاز عقلي، أنظر: فنون بلاغية ٩٤،٩٧، و أنظر: حســن التوصــل إلى صناعة الترسل ١٠٥.

(١١) أسرار البلاغة ٣٧٦، و أنظر: المجاز في البلاغة العربية ٩٨،٩٩.

(١٢) ذهب الدكتور طه حســين في مقالته: (تمهيد في البيان العربي) التي وضـــعها مقدمة قدم بها لكتاب (نقد النثر) المنســـوب لقدامة بن جعفر إلى أن المجاز العقلي من ابتداع عبد القاهر الجرجاني، أما المجاز اللغوي –الاســـتعارة والمجاز المرسل– فهو حصيلة ما تأثر به الإمام عبد القاهر بارسطو، مقدمة نقد النثر ٢٩.

وشايع طه حسين بعض الباحثين وقبلوا قوله، أنظر: مجاز القرآن، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ١١٤.

وكان ممن نبه على ذلك من البلاغيين صـاحب الطراز بقوله ((واعلم أن ما ذكرناه في المجاز الإسـنادي العقلي هو ما قرره الشيخ النحرير عبد القاهر الجرجاني واستخرجه بفكرته الصافية))، الطراز ٢٥٧/٣، و أنظر: فنون بلاغية ٩٥،٩٧.

التسمية وكسوته المصطلح بسربالٍ من الحسن بعد أن كان عرياناً، فأضفى عليه جمالاً بلاغياً خلاباً، وإلا فولادة المجاز العقلي كانت في كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ).

ويتجلى ذلك للباحث بوضوح من خلال أمثلة وشواهد الكتاب من الشعر والنثر والتي لا تزال معين البلاغيين ومنهل الباحثين والدارسين يلتقطونها ويودعونها كتبهم، يجترونها وبها يتمثلون كلما أعوزتهم الحاجة إلى التمثيل أو الاستشهاد عند كلامهم على المجاز العقلي.

وبديهي أن تسمية الشيء تعقب ولادته فكيف إذا كان بين التسمية والولادة ما يقرب من ثلاثة قرون.

ومن هنا نلج (الكتاب) فنتجول بين ثناياه وعلى صفحاته لنسجل مباحث سيبويه المجازية.

ولعل أول ما ينبغي معرفته وتحديده والوقوف عليه هو أن سيبويه كان يعبر عن بعض الأساليب المجازية بلفظ (السعة) و (سعة الكلام) تارةً، والاتساع والتوسع تارةً أخرى، والذي لا يبعد مفهومها في عرف البلاغيين كثيراً عن مصطلح المجاز إلا من حيث العموم والخصوص بل ربما يرادفه في التحليل أحياناً.

ولعل أول ما يلاقينا في كتاب سيبويه وعلى الصفحات الأولى منه مما يشتم منه رائحة المجاز ما ذكره سيبويه في ((باب الاستقامة من الكلام والإحالة)) وهو يتناول تقسيم[١٣] الكلام إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، ثم جعل من المستقيم الكذب قولهم: (حملت الجبل، وشربت ماء البحر)[١٤].

---

(١٣) كان ممن سطا على هذا التقسيم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) فأخذه مع شواهده وأودعه (الصناعتين) دون أن يشير إلى كتاب سيبويه، أنظر: الصناعتين ٨٥.

وممن استفاد من هذا التقسيم الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) فعقد الكلام عليه في ((باب الكلام في المعاني المفردة))، أنظر: سر الفصاحة ٢٣٠،٢٩٩ وما بعدها.

(١٤) أما مثال سيبويه (حملت الجبل) فيمكن حمله على محملين:

أحدهما: على التمثيل الكائن على حد الاستعارة، كما سماه الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أو ما أسماه القزويني (ت ٧٣٩هـ) بالمجاز المركب أو التمثيل، وهو تركيب استعمل في غير ما وضع له العلاقة المشابهة مع قرينه مانعه من أراده معناه الوضعي أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور أخر، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه وهذا ما يسمى (التمثيل على سبيل الاستعارة).

والمجاز في مثل سيبويه هذا لا يتحقق في مفرد من مفرداته كما هو الحال في المجاز المفرد وإنما يتحقق في جملة هيأته وجملة تركيبه، ومن هنا فإن صاحب الإدعاء قد شبه حاله وهيأته وهو يحمل هذا العبء الثقيل من النصب بحالة من

وسيبويه إذ يصف بعض أقسام الكلام (بالكذب) فهو لا يريد به الكذب الخُلقي المذموم وإنما يشير إلى نمط من الأنماط المجازية والتي تكون قسيماً للحقيقة[١٥].

والذي يبدو أن سيبويه هذب مصطلح (الكذب) ثم هجره وعدل إلى مصطلح أكثر قبولاً وصحة منه، فهداه تفكيره النير وعبقريته الفذة إلى أن يصف جل الأساليب البلاغية في كتابه بمصطلح (السعة) أو (الاتساع) والإيجاز والاختصار.

ومن ثم توسع باستعمال هذا المصطلح الجديد فطفق يلهج به ويطلقه على ما فيه مجاز وعلى ما ليس فيه مجاز من كلام العرب.

ورحم الله المعري إذ يقول :[من الوافر]

وليس على الحقيقة كل شيء ولكن فيه ألوان المجاز

ومن الأساليب التي تطالعها على صفحات (الكتاب) ما ذكره سيبويه في ((باب من الفعل يبدل فيه الآخر من الأول ويجرى على الاسم كما يجرى (أجمعون) على الاسم وينصب بالفعل لأنه مفعول) بقوله: وتقول: مُطِرَ قومك الليل والنهار على الظرف وعلى الوجه الآخر، وإن شئت رفعته على سعة الكلام، كما قال: (صيد عليه الليل والنهار)، وهو (نهاره صائمٌ وليله قائمٌ)، وكما قال جرير[١٦] [من الطويل]:

يحمل جبلاً في أن كليهما يحمل عبئاً ثقيلاً وأمراً جللاً تنوء به الجبال، والقرينة استحالة واستبعاد أي تصور أن يحمل الإنسان –مهما عظمت قوته وكائناً من كان– جبلاً.

والآخر: الذي يمكن حمل المثل الآنف عليه ما اصطلح عليه البلاغيون المتأخرون (بالاستعارة التمثيلية) وهي تشبه التشبيه المركب إلا أن المشبه لا يذكر هنا والذي يوضحه السياق.

أنظر: في تعريف المجاز المفرد، المجاز المركب، الاستعارة التمثيلية معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/٣،٢٢٠،٢١٩/١٥٦، و أنظر: جواهر البلاغة ٣٣٣ وما بعدها، و أنظر: الإيضاح ٤٣٨، و أنظر: الأصول للدكتور تمام حسان ٣٦٥، أما قوله (شربت ماء البحر) فمجاز مرسل علاقته (الكلية) لأنه أطلق لفظ (الكل)ى وأراد به (الجزء) والمراد شربت بعضه بقرينه (شربت).

(١٥) أنظر: التراكيب غير الصحيحة نحويا في كتاب سيبويه ٣٢.

(١٦) هذا البيت من قصيدة يرد بها على الفرزدق مطلعها

لا خير في مستعجلات الملاوم ولا في حبيب وصله غير دائم

وقد أورده البغدادي بإسقاط الحرف الأول من أول الشطر وبهذا تكون القراءة العروضية للبيت هي:

عولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

فكأنه في كل هذا جعل الليل بعض الاسم، وكما قال الشاعر[١٧] [من البسيط]:

أما النهار ففي قيد وسلسلةٍ والليل في قعر منحوت من الساج

فكأنه جعل النهار في قيد والليل في بطن منحوت، أو جعله الاسم أو بعضه))[١٨].

فهذه الأمثلة وما شابهها مما ساقه سيبويه جاءت على سبيل التوسع والتجوز القائم على إسناد الشيء إلى غير ما هو له كإسناد الصوم إلى النهار، والقيام إلى الليل، وهو زمان للفعل يقع فيه ولا يقع منه، فعلاقته الزمانية التي هي إحدى علاقات المجاز العقلي التي عرفها البلاغيون ومثل هذا يجري على بيت جرير حيث جعل الليل نائماً يقع منه الفعل أو غير نائم ولكن الليل منومٌ فيه.

قال الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) يعلق على هذا البيت إن (الشاهد في الإخبار عن الليل بالنوم؛ اتساعاً ومجازاً والمعنى: وما المطي بنائم في الليل) وكذا فسر الشاهد الثاني بعد أن ذكر البيت قال:

(الشاهد في إخباره عن النهار بكونه في قيد وسلسلة وعن الليل باستقراره في جوف منحوت اتساعاً ومجازاً)[١٩].

وهو من الطويل ومن الوزن الثاني الذي تكون فيه العروض مقبوضة (مفاعلن) والضرب مثلها (مفاعلن) والقبض: زحاف وهو حذف الخامس الساكن من التفعيلة والتي صارت به (مفاعيلن) مفاعلن ويدخل (القبض) في عروض وضرب الطويل ويلتزم فيهما، فيجري مجرى العلة، وهو مستحسن ومأنوس.

أما ما أصاب حشو البيت فهو علة جارية مجرى الزحاف تسمى (الخرُم) وهو إسقاط أول الوتد المجموع في صدر البيت والذي به صارت (فعولن): عولن وتنتقل إلى فعلن وهي غير مستحبة ولا مأنوسة.

أنظر: البيت في خزانة الأدب ٤٦٦/١، و أنظر: علم العروض والقافية، لعبد العزيز عتيق ١٨٦، و أنظر: العروض الواضح، لطلبة وأساتذة الجامعات ٥٣.

(١٧) البيت من الخمسين التي لا يعرف لها قائل وذكر الأستاذ عبد السلام هارون أن المبرد نسبه إلى رجل من أهل البحرين من اللصوص، وحقق نسبة البيت الدكتور رمضان عبد التواب في بحثه المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي بعنوان: اسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه، أنظر: الكتاب ١٦٠/١ط.هـ، هامش رقم:٥، و أنظر: مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٤، لسنة ١٩٧٤، ص ٢١٤.

(١٨) الكتاب ٨٠/١ب، ١٦٠/١هـ، و أنظر: أثر النحاة في البحث البلاغي ١١٠-١١١.

(١٩) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ١٢٥-١٢٦، و أنظر: هامش كتاب سيبويه ٨٠/١ب.

فالشـاعر في البيت الأخير جعل النهار في قيد والليل في بطن منحوت وإنما السـجين هو المجعول فيهما، ومثله في قول جرير [من الطويل]:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

فقد أسند الشاعر لفظ (نائم) إلى ضمير الليل والليل لا ينام حقيقة، وإنما ينام من فيه، ولما كان الليل هو زمان النوم ووقته، أسند إليه لعلاقة الزمانية.

ونص البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) بعد أن ذكر بيت جرير: على ((أن الزمان يسند إليه كثيراً ما يقع فيه، فإن النوم يقع في الليل وقد أسند إليه مجازاً عقلياً))[٢٠].

وبذا نلحظ أن مثل هذه الأمثلة التي تتكرر في (الكتاب) صارت علماً على علاقتي الزمانية والمكانية، التي يستند فيها الفعل إلى زمان أو مكان، والزمانية والمكانية علاقتان من أوسع علاقات المجاز العقلي.

ومما تحمس له سيبويه وحاول أن يلزمنا الاعتراف به هو ما ذكره في ((باب جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى)) وهو قول الراجر [من الرجز]:

يا سارق الليلة أهل الدار[٢١]

ثم ذكر أنك (تقول على هذا الحد سرقت الليلة أهل الدار، فتجري الليلة على الفعل في سعة الكلام كما قال: صيد عليه يومان، وولد له ستون عاماً، والمعنى: إنما هو في الليلة، وصيد عليه في اليومين غير أنهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام)[٢٢].

فمن قال: (يا سارق الليلة) فعلى إضافة سارق إلى الليلة ونصب (أهل) على التوسع في الظروف، فنصب نصب المفعول به.

قال ابن السراج وهو يورد شاهد سيبويه: (يا سارق الليلة أهل الدار) قال: ((فجر (الليلة) وجعلها مفعولاً بها على السعة))[٢٣].

---

(٢٠) أنظر: خزانة الأدب ٤٦٦/١.

(٢١) الرجز لأبي النجم العجلي، أنظر: الكتاب ٩٣/٥هـ.

(٢٢) الكتاب ٨٩/١ب، ١٧٥/١-١٧٦هـ.

(٢٣) الأصول ١٩٦/١، و أنظر: خزانة الأدب ١٠٨/٣، الأشباه والنظائر في النحو ٣٥/١.

وتابعه على ذلك أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في كتاب التعليقة والذي كان يرى أن سيبويه (أوضح بإضافة السارق إلى الليلة أنها غير ظرف وأنها مفعول به على السعة، لأن الظرف لا يضاف إليها بل تكون متضمنة الإحداث[٢٤]»[٢٥].

فسيبويه يجعل الليلة مسروقة على التوسع وهي تشبه –في اللفظ– المضاف إلى اسم فاعله، لأن (سرق) فعل متعدٍ.

ومن شواهد سيبويه المجازية الأخر التي خرجها على سعة الكلام والاستخفاف قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[٢٦].

وأخبر أن (الليل والنهار لا يمكران ولكن المكر فيهما)[٢٧]، والمعنى: بل مكركم في الليل والنهار.

وقد أشار الفراء (ت ٢٠٧هـ) إلى أن العرب تتسع بمثل هذه الأساليب وبناء على فهمه لمفهوم التوسع هذا فقد جعل المكر في قوله تعالى:﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ليس لليل ولا للنهار، وإنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار، وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين؛ لأن العرب تقول: (نهارك صائمٌ) و (ليلك قائمٌ)، ثم نضيف الفعل إلى الليل والنهار وهو في المعنى للآدميين كما تقول: نائم ليلك وعزم الأمر عزمه القوم، فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب[٢٨].

فسيبويه جعل التوسع القائم على الإسناد في الآية حيث أسند المكر إلى الليل والنهار وهما لا يمكران في الحقيقة ولكن المكر يقع فيهما.

---

(٢٤) الإحداث: مصطلح فلسفي حده الإمام الغزالي على أنه اسم مشترك يطلق على وجهين أحدهما: زماني، ومعنى الإحداث الزماني: الإيجاد للشيء بعد إن لم يكن له وجود في زمان سابق، ومعنى الإحداث الغير الزماني هو إفادة الشيء وجوداً وذلك الشيء ليس له في ذاته ذلك الوجود لا بحسب زمان دون زمان بل بحسب كل زمان، المصطلح الفلسفي عند العرب، حدود الغزالي ٢٨٩، و أنظر: التعريفات للشريف الجرجاني١٥.

(٢٥) التعليقة على كتاب سيبويه٧٣/١، وانظر: معاني القرآن للفراء ٨٠/٢، الحجة في القراءات للفارسي١٤/١.

(٢٦) سورة سبأ، الآية ٣٣.

(٢٧) الكتاب ٨٩/١ب، ١٧٦/١هـ.

(٢٨) معاني القرآن للفراء: ٣٦٣/٢، و أنظر: خزانة الأدب: ١٠٨/٣-١٠٩.

ويجوز أن يكون التوسع من قبيل النسب الإضافية[٢٩]، كأن يضاف إلى ملابس ما هو له، ومن ثم يكون إسناد المكر إلى الليل والنهار مجازاً عقلياً علاقته الزمانية.

وكان مما تناوله سيبويه وبحثه تحت مفهوم التوسع للإيجاز والاختصار[٣٠]، قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[٣١].

فقال: وإنما هو: ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر[٣٢].

فسيبويه يرى أن في الآية مجازاً عقلياً قائماً على الإسناد بدعوى أن المؤمن هو عين البر؛ فجعل المؤمن كأنه تجسد من البر لكثرة اعتياده له وملازمته إياه.

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن ذلك من الإخبار بالذات عن المصدر والمصدر عن الذات لقصد التجوز والمبالغة فذكر بعد قوله تعالى:﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[٣٣]، (أن البر إذا تجسد كان شخصاً مؤمناً بالله واليوم الآخر فهو بذلك جعل البر شخصاً يمشي على رجلين له سماته وصفاته)[٣٤].

ولعل من أشهر شواهد البلاغيين وأكثرها دوراناً على ألسنتهم مما يضعونه تحت باب المجاز بالحذف قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[٣٥].

وقد ساقها سيبويه شاهداً على التوسع في الكلام والاختصار وذكر أن المراد من قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أهل القرية، فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا[٣٦].

---

(٢٩) كما يقع المجاز الفعلي في النسب الإسنادية، يقع في النسب الإضافية والإيقاعية، فكما أن إسناد الفعل إلى غير ما حقه أن يستند إليه مجاز، فكذلك إيقاعه على غير ما حقه أن يوقع عليه، وإضافة المضاف إلى غير ما حقه أن يضاف إليه؛ لأنه جاز موضعه الأصلي.

(٣٠) أنظر: الكتاب ١٠٨/١ب، ٢١١/١هـ.

(٣١) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٣٢) قال السيرافي: وفي هذا وجه آخر، وهو أن يجعل (البر)في معنى (البار) فكأنه قال:ولكن البار من آمن بالله.

(٣٣) سورة البقرة، الآية ١٧٧.

(٣٤) معاني النحو ١٣٧/٣، و أنظر: أثر النحاة في البحث البلاغي ١١٢-١٣.

(٣٥) سورة يوسف، الآية ٨٢.

(٣٦) الكتاب ١٠٨/١ب، ٢١٢/١هـ.

وأشار أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) في (مجاز القرآن) إلى أن في الآية مجازاً بالحذف، قال: ومن مجاز ما حذف وفيه مضمر؛ ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[٣٧].

وعبد القاهر الجرجاني يرى أن الحذف لا يؤدي إلى المجاز إلا إذا حصل معه تغيير في الحكم الإعرابي.

أما (إذا تجرد عن تغيير حكم من أحكام ما بقي بعد الحذف لم يسم مجازاً)[٣٨].

فنص على أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها؛ وذلك كأن يأخذ المضاف إليه حكم المضاف كما هو في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ إذ الأصل: واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر، والنصب فيها مجاز.

وظلت الآية الكريمة من أكثر أمثلتهم جولاناً في كتبهم بعد أن وجدوها في كتاب سيبويه شاهداً من شواهد التوسع والمجاز[٣٩].

ومما يمكن تقريره هنا أن في الآية مجازين:

أحدهما: مجاز بالحذف، وهو القائم على تغيير حكم إعراب (القرية) الأصلي من الجر إلى النصب بوساطة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو ما صرح به سيبويه.

والثاني: مجاز مرسل، وذلك من طريق إطلاق اسم المحل على الحال، وحينئذ لا يقدر هاهنا محذوف في غير الآية الكريمة.

---

(٣٧) مجاز القرآن ٨/١.

(٣٨) أسرار البلاغة ٣٨٣.

(٣٩) أسرار البلاغة ٣٨٣، و أنظر: سيبويه إمام النحاة ١٩٠، والمجاز في البلاغة العربية ٩٢، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٩٢.

فلا عجب ولا استغراب أن يتكلم به سائل أو متسائل لغرض العظة والاعتبار، كما قال الفضل بن عيسى بن أبان: (سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوراً، أجابتك اعتباراً)[٤٠].

ولما تقرر عند العرب أن الحذف ضرب من ضروب التوسع في الكلام حملوا عليه أنماطاً وأساليب كثيرة من أشعار العرب ومنثورهم، ولما كان كتاب سيبويه أول سفر جامع لهذه الأساليب العربية التي تلقفها من أفواه شيوخه، وأفواه الأعراب الصرحاء الفصحاء، كان لا بد من قبولها والاعتراف بها، لأنه سماع الخليل الفراهيدي (ت١٧٥هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ويونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) وعيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) وهؤلاء كلهم ثقات، والناقل عنهم ضابط ثبت.

وكان مما حكاه سيبويه من كلامهم المبني على الحذف توسعاً ومجازاً قولهم: (بنو فلان يطؤهم الطريق، يريد: يطؤهم أهل الطريق وقالوا: صدنا قنوين، وإنما يريد: صدنا بقنوين، أو صدنا وحش قنوين، وإنما قنوان اسم أرض)[٤١].

وقد أثرى سيبويه كتابه بمثل هذه المباحث المحمولة على التوسع وإذا أنت تجملت بالحلم على عصي العبارات، وتذرعت بالصبر على غوامض الكتاب، فسترى الأمثلة تنثال عليك انثيالاً، فيهديك من مثل (قولهم: أكلت بلدة كذا وكذا، وأكلت أرض كذا وكذا، وإنما يريد أنه أكل من ذلك وشرب وأصاب من خيرها...

ومن قولهم: هذه الظهر أو العصر أو المغرب، إنما يريد: صلاة هذا الوقت و(اجتمع القيظ) يريد: اجتمع الناس في القيظ) وبعد عرضه لهذه النصوص المجازية أشار إلى أن مثل (هذا أكثر من أن يحصى)[٤٢].

والذي يخيل إلي وأنا استقري وأتأمل هذه النصوص التي يزخر بها (الكتاب) ثم أطيل الوقوف والنظر، وأجيل الفكر والبصر في عبارة سيبويه.

---

(٤٠) البيان والتبيين ٨١/١، و أنظر: أسرار البلاغة ٣٨٨.

(٤١) الكتاب ٠٩/١ب، ٢١٣/١هـ، و أنظر: سيبويه إمام النحاة ٩٠، المجاز في البلاغة العربية ٩٢، ظاهرة الحذف ٩٢.

(٤٢) أنظر: الكتاب ١٠٩/١ب، ٢١٤/١-٢١٥هـ.

(وهذا أكثر من أن يحصى)، على أن لا ننسى أن سيبويه بحث هذه الأنماط والأساليب والنصـــوص تحت ((باب اســـتعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى، لاتســـاعهم في الكلام والإيجاز والاختصار))[٤٣].

أقول: يمكنني أن أقرر –باطمئنان– أن جل الكلام العربي وسننه جار على هذه الروافد، روافد الإيجاز والاختصار والحذف، والتي تصب كلها في معين واحد، معين التوسع والمجاز في كلام العرب.

إذاً ليس غريباً أن يعقد العلماء لهذه المصطلحات الأبواب والفصول في كتبهم، فهذا ابن جني (ت ٣٩٢هـــ) قد أخذ أمثلة سيبويه الآنفة ثم بحثها تحت مفهوم (الشجاعة في اللغة) قال:

(ومن المجاز كثير من الشـــجاعة في اللغة، من الحذف والزيادات والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف، إلا ترى أنك إذا قلت: (بنو فلان يطؤهم الطريق) ففيه من الســـعة أخبارك عمالاً يصـــح وطؤه بما يصـــح وطؤه، فتقول على هذا: أخذنا على الطريق الواطئ لبني فلان، ومررنا بقوم موطوئين بالطريق ويا طريق طأ بنا بني فلان، أي: أدنا إليهم، وتقول بنى فلان بيته على ســـنن المارة، رغبة في طئه الطريق بأضـــيافة له أفلا ترى إلى وجه الاتساع عن هذا المجاز)[٤٤].

وبهذا التوسع في فهم النصوص المجازية كان ابن جني يوجه نصوص سيبويه التي أستلها ونثرها على صفحات (الخصائص) بناء على مذهبه في النظر إلى أساليب العرب وسننهم في الكلام والذي نص من خلاله على أن اللغة مجاز في مجاز[٤٥].

وكان ممن تناول مســـائل (الكتاب) البلاغية والمجازية عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـــ) الذي بحث في كتابيه، دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة طائفة صالحة من أمثلة سيبويه وشواهده، فجاءت تعليقاته وشروحه البلاغية التي صارت فيما بعد زاد البلاغيين المتأخرين ومعينهم الذي لا ينضب جاءت مشبعة بالشرح والتحليل والنقد ثم انتهى به الأمر إلى أن أرســـى دعائم نظريته التي ألح على الأخذ بمبادئها والاعتراف بها، والتي بناها على أساس متين قوامه (توخي معاني النحو).

---

(٤٣) الكتاب ١٠٨/١ب، ٢١١/١هـ.

(٤٤) الخصائص ٤٤٦/٢.

(٤٥) أنظر: الخصائص ٤٤٧/٢، و أنظر: فنون بلاغية ٨٥.

ومما بحثه من أمثلة سيبويه: (بنو فلان يطؤهم الطريق) فبعد أن وقفنا على تعليقه السابق على قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٤٦).

وبعد أن قرر: (أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها، ساق مثال سيبويه وبين وجه المجاز فيه بعد أن ذكر أن (قولهم: (بنو فلان يطؤهم الطريق) يريدون أهل الطريق، الرفع في الطريق مجاز، لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو (الأهل) والذي يستحقه في أصله هو الجر)(٤٧).

ومن الباحثين الذين يرون في هذه الأمثلة، مجازاً عقلياً الدكتور فاضل السامرائي فقد ذكر وهو يتحدث عن أغراض حذف المضاف بعد أن ذكر الغرض الأول، وهو التجوز في الكلام والاتساع فيه قال: (ومنه قولهم: بنو فلان يطؤهم الطريق، وهو مجاز عقلي والمعنى يطؤهم أهل الطريق، ولكنه أسند الوطء إلى الطريق تجوزاً)(٤٨).

ولا تزال أمثلة سيبويه الآنفة تتكرر وتتردد في كتب البلاغة وفي أبواب البيان، وتحت مباحث التشبيه والمجاز(٤٩).

فسيبويه –إذاً– كان يؤصل لهذه المباحث والعلماء من بعده يفرعون ويتوسعون.

ولعل من مشاهير الشواهد والأمثلة التي عني بها سيبويه بتحليل الإسناد في التراكيب تحليلاً يقربها من براعة التصوير الذي يتركه المجاز العقلي، والتي تعد من أوضح شواهد (الكتاب) وأكثرها جلاءً على أنها من إسناد التراكيب الذي لا يكون إلا في المجاز العقلي هو ما حمله على (سعة الكلام). وما نص عليه في ((باب ما ينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره...)) وبعد أن ذكر أمثلة منصوبة قال:

((وإن شئت رفعت هذا كله فجعلت الآخر هو الأول.

فجاز على سعة الكلام من ذلك قول الخنساء: [من البسيط]:

---

(٤٦) سورة يوسف، من الآية ٨٢.

(٤٧) أنظر: أسرار البلاغة ٣٨٣.

(٤٨) معاني النحو ١٣٨/٣.

(٤٩) أنظر: الطراز ٣٩٠/١، ٨٧، ٧٦، ٧٢، وسيبويه أمام النحاة ١٩٠.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبـار[٥٠]

فجعلها(٥١)، الإقبال والإدبار.

فجار على سـعة الكلام كقولك: نهارك صـائم، وليلك قائم(٥٢)، ومثل ذلك قول الشاعر، وهو متمم بن نويرة(٥٣) [من الطويل]:

لعمري وما دهري بتأبين هالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا

جعل دهره الجزع، وإنما أراد: وما دهري دهر جزع ولكنه على سـعة الكلام، واسـتخفوا واختصروا كما فعل ذلك فيما مضى)[٥٤].

وهذا عبد القاهر يرى في هذه الأمثلة كلها مجازاً عقلياً ويقول: (أنت ترى مجازاً في هذا كله، ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها، أفلا ترى أنك لم تتجوز في قولك: (نهارك صائم وليلك قائم)[٥٥]. في نفس (صائم) و (قائم) ولكن في أن أجريتهما خبرين على النهار والليل.

أفلا ترى أنك لا ترى شيئاً منهما إلا وقد أريد معناه الذي وضع له على وجهه وحقيقته فلم يرد بصائم غير الصوم، ولا بقائم غير القيام)[٥٦].

والذي ينعم النظر في كل ما سبق من أمثلة وشواهد سيبويه يرى بجلاء صور ذلك اللون البلاغي الخلاب، وذلك الفن البياني البديع الذي يخلب بسحره الألباب والعقول، ولذا عقد له البلاغيون في كتبهم المباحث والفصول.

---

(٥٠) تصف الخنساء ناقة أو بقرة، فقدت ولدها، فكلما شغلت عنه، رتعت فإذا عاودتها الذكرى حنت إليه، فأقبلت وأدبرت في حيرة واضطرب فضربتها مثلاً لفقدها أخاها صخراً.

(٥١) كذا في مطبوعة بولاق ومطبوعة عبد السلام هارون المخففة،والصواب (فجعلتها)وقد يكون ذلك من باب التغليب.

(٥٢) لقد وهم مؤلف كتاب (سيبويه إمام النحاة) فوضع هذا النص تحت (باب من النكرة يجري مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء)، أنظر: سيبويه أمام النحاة ١٩٠، ثم قارنه بموضعه من كتاب سيبويه ١٦٩/١ب، ٣٣٦/١هـ.

(٥٣) متمم بن نويرة اليربوعي، يرثي أخاه مالكاً، والبيت في رواية المفضل الضبي (بتأبين مالك) بدل: هالك، أنظر: الكتاب ٣٣٧/١ هامش٢، من طبعة هارون، و أنظر: المفضليات ١٢٦.

(٥٤) الكتاب ٦٩/١ب، ٣٣٧/١،٣٦هـ، و أنظر: المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ١٢٣.

(٥٥) أسند لفظ (صائم) إلى ضمير النهار، والنهار لا يصوم في الحقيقة وإنما يصام فيه، فهو زمان للصيام، وكذلك في (ليلك قائم) فقد أسند لفظ (قائم) إلى ضمير الليل والليل لا يقوم حقيقة، وإنما يقام فيه، فهو زمن للقيام، ولما كان النهار زمان الصيام، والليل زمان القيام، أسند إليه لعلاقة الزمانية، فهو –إذاً– مجاز عقلي علاقته الزمانية.

(٥٦) دلائل الإعجاز ٢٩٤، و أنظر: فنون بلاغية ٩٨.

ومما أثرى مباحثهم وأغنى فصولهم تلك أمثلة سيبويه وشواهده وإن كان سيبويه لم يتلفظ بلفظ المجاز[٥٧]–كما أسلفنا– ولكنه كان يحملها على مفهوم التوسع في كلام العرب.

وهذه الأمثلة التي لها جولان ودوران في كتاب سيبويه والتي أطلق عليها مصطلح (السعة) في الكلام تارة و (الاتساع) تارة أخرى، هي عينها أمثلة البلاغيين المتأخرين التي عقدوها تحت لواء المجاز العقلي.

ويتضح ذلك من تعليق سيبويه على بيت جرير السابق والذي بعده، وما ذكره ونص عليه في بيت الخنساء إذ إن المعنى المراد: أنها جسدت ناقتها فجعلتها الإقبال والإدبار لشدة حيرتها، وذهولها وذاك للأمر الجلل الذي أصابها جراء فقدها ولدها.

وقد تناول عبد القاهر تحليل بيت الخنساء تحت مفهوم (المجاز الحكمي)[٥٨] عنده فكان يرى (مما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء [من البسيط):

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

وذلك أنها لم ترد من الإقبال والإدبار غير معناها فتكون قد تجوزت في نفس الكلمة، وإنما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر، ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها، وإنه لم يكن لها حال غيرهما، وكأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار وإنما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعارت (الإقبال والإدبار) لمعنى غير معناها الذي وضعا له في اللغة؛ ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء)[٥٩].

وقد رد عبد القاهر تأويلات النحاة الذين خرجوا البيت على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وفند آراء الذين (يقولون[٦٠] إنه على تقدير: (فإنما هي ذات إقبال وإدبار).

---

(٥٧) أنظر: المجاز وأثره في الدرس اللغوي ٤٥.

(٥٨) وهو المجاز العقلي، وسمي حكمياً؛ لأن المجاز ليس في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها، أنظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢١٢/٣، دلائل الإعجاز ٣٠٠، وحد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) المجاز الحكمي بقوله: (كل كلمة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأويل)، أنظر: مفتاح العلوم ٤٠١.

(٥٩) دلائل الإعجاز ٣٠٠–٣٠١.

(٦٠) قال السيرافي في بيت الخنساء: النحويون يقدرون مثل هذا على تقديرين:

أحدهما: أن يقدروا مضافاً إلى المصدر ويحذفون كما يحذفون في و ((اسأل القرية)).

والوجه الثاني: أن يكون المصدر في موضع اسم الفاعل وكان الزجاج يأبى إلا الوجه الأول، أنظر: هامش كتاب سيبويه ١٦٩/١ب، وكان ممن يرى رأي الحذف الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) فيقول إن (المعنى ذات إقبال وإدبار فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه) أنظر: تحصيل عين الذهب ٢١٠، حاشية كتاب سيبويه ١٦٩/١ب.

قال: وليس الأمر كذلك، لأنا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا (فإنما هي ذات إقبال وإدبار) أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول[٦١] وإلى كلام مرذول)[٦٢].

وبعد هذه الجولة المباركة الميمونة في كتاب سيبويه والتي وقفنا من خلالها على مباحث المجاز العقلي في هذا السفر الفريد، أود أن أشير إلى أن ما حواه هذا البحث بين دفتيه هو ما يسر الله لنا استخراجه من أمثلة وشواهد (الكتاب) والتي وصلت إليها يد البحث، فأماطت اللثام وكشفت النقاب عن أهم مبحث من مباحثها المجازية وأكثرها جلاء ووضوحاً في (الكتاب) إلا وهو مبحث المجاز العقلي، والذي وصفه العلماء بأنه كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان.

وقد أعجبني قول العقاد: (فاللغة العربية لغة المجاز لا لأنها تستعمل المجاز فكثير من اللغات تستعمل المجاز كما تستعمله اللغة العربية ولكن اللغة العربية تسمى لغة المجاز؛ لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة إلى المعاني المجردة فيستمع العربي إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه، فالقمر عنده بهاء، والزهرة عنده نضارة، والغصن اعتدال ورشاقة، والطود وقار وسكينة).

وهذا الضرب من المجاز واقع في كلام العرب كثيراً، له جولان ودوران على ألسنتهم وفي مراسلاتهم ومخاطباتهم وأشعارهم وحكمهم، وتعده العرب مفخراً من مفاخرها ذلك، لأن هذا اللون من المجاز هو الذي يكسو اللفظ سربالاً من الحسن ويثري اللغة ويزيدها تجدداً وتطوراً ونماءً.

ولما كان من طبيعة البحث أن يقف الباحث على كتب البلاغة التي تلت (ولادة) الكتاب

.

وقد غلط محقق كتاب (التعليقة على كتاب سيبويه) عندما فهم من كلامه أنه نسب مذهب الحذف إلى سيبويه، أنظر: التعليقة على كتاب سيبويه ٢/٢٤٤، هامش ٢، وقال البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) بعد أن ذكر بيت الخنساء أن فيه ثلاثة توجيهات:

أحدهما: كونه مجازاً عقلياً، يحمله على الظاهر، ثم ذكر بعد ذلك الرأيين الآخرين اللذين ذكرهما السيرافي، أنظر: خزانة الأدب ١/٤٣١.

(٦١) الأسلوب المغسول : مصطلح عبر به عبد القاهر عن الحقيقة. والغريب ان الدكتور أحمد مطلوب لم يعرف به معجمه .

(٦٢) دلائل الإعجاز ٣٠٢، و أنظر: فنون بلاغية ٩٨-٩٩.

فقد تم للباحث ذلك، فوقف على ما تيسر له منها فدرسها ونظر إلى نصوصها الأدبية ليعقد مقارنة بينها وبين شـــواهد وأمثلة (الكتاب) ويرى مدى إفادة البلاغيين المتأخرين من سيبويه وكتابه.

وبعد استكمال متطلبات بحث(المجاز العقلي في كتاب سيبويه)تجلَّت أمام مَرأى الباحث أُمور : منها :

١. انَّ في كتاب سيبويه مباحث بلاغية كالمجاز ، والكناية ، والاستعارة ، والتشبيه ، لاشك في وجودها .
٢. كان ســـيبويه يطلق على مثل هذه الالوان البلاغية مصـــطلح(ســـعة الكلام)تارة و(الاتساع)تارة اخرى فحمل كثيرا من الالوان البلاغية على(التوسع)الذي صار عنده علما على جميع الانواع المجازية.
٣. والذي اكده البحث ان أمثلة البلاغيين التي مثلوا بها في كتبهم للمجاز العقلي هي بعينها امثلة سيبويه في الكتاب من مثل قولهم: (نهارك صائم) و(ليلك قائم)ومن مثل قول الخنساء السابق ، فمثل هذه الشواهد نجدها في دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)وكتب البلاغة الاخر ،وهذا يدلنا على مدى أفادة البلاغيين من الكتاب وصاحبه و يكشف لنا كيف كان هؤلاء عالة على سيبويه و كتابه .
٤. والذي يطمئن له البحث والباحث ، ان سيبويه كان أول من أصَّل للمباحث البلاغية في كتابه وعلى رأسها المجاز العقلي وإنْ لم يُسمِّه بهذا الاسم وانما كان يطلق عليه مصطلح السّعة .
٥. ولما جاء عبدالقاهر الجرجاني أطلق عليه تسمية المجاز العقلي بعد ان قسَّم المجاز الى مجاز عقلي و مجاز لغوي .

ومن هنا يعد ســـيبويه هو مبتكر علم المجاز العقلي ، ولعبد القاهر الجرجاني فضـــل التشذيب والتهذيب والتدقيق وتسمية(المولود)الذي كان بين ولادته وبين التسمية ما يقرب من ثلاثة قرون .

مصادر البحث

القرآن الكريم

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د.خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ط١ ، بغداد/١٣٨٥هـ – ١٩٦٥ م .
- أثر النحاة في البحث البلاغي ، د.عبدالقادر حسين ، الدوحة – قطر ط٢ ١٩٨٦ .
- أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ،دار صادر ، بيروت / ١٩٧٩ .
- أسرار البلاغة ، للامام عبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ) تحـ : هـــ. ريتر ،استانبول :مط وزارة المعارف ١٩٥٤ .
- الاشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـــــ) ، راجعه وقدم له د.فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، ط١/١٩٨٤ .
- الاصول ، دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د.تمام حسان ، دار الشؤون الثقافية , والهيئة المصرية . بغداد ١٩٨٨
- الاصول في النحو ، ابو بكر محمد بن سهل السراج(ت ٣١٦ هـــ) تحـــ/عبدالحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ /١٩٨٧ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الامام الخطيب القزويني(ت ٧٣٩ هـــ) . شرح و تعليق : د.محمد عبدالمنعم خفاجي . دار الكتاب العربي اللبناني بيروت . ١٩٨٣ .
- البرهان في علوم القرآن . بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي(ت ٧٩٤ هـ) تحـ. محمد أبوالفضل أبراهيم ، القاهرة ١٩٥٧ .
- البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر – بحث نشر تمهيداً لكتاب "نقد النثر"المنسوب الى قدامه د.طه حسين/ط٤ القاهرة ١٩٣٨ .
- البيان والتبين ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـــ)، تحـــ / عبدالسلام محمد هارون مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٥/١٩٨٥ .
- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة(٢٧٦ هـــــ)، شرحه و نشره السيد احمد صقر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٣/١٩٨١ .

- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ، للاعلم الشنتمري (ت٤٧٦ هـ)تحـ/د.زهير عبدالمحسن سلطان ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ /١٩٩٢ .
- التراكيب غير الصحيحة نحويا في"الكتاب" لسيبويه /دراسة لغوية ، تأليف د.محمود سلمان ياقوت . كلية الاداب – جامعة طنطا ، دار المعرفة الجامعية/١٩٨٥ .
- التعريفات . علي بن محمد بن علي الجرجاني/ لابي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني تحـ/ د.احمد مطلوب . دار الشؤون الثقافية – بغداد (د . ت) .
- التعليقة على كتاب سيبويه لابي علي الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)تحـ/د. عوض بن حمد القوزي الرياض – ط١ / ١٩٩٦م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : احمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط١٢ ، ١٩٦٠ .
- الحجة للقراء السبعة ، تصنيف ابي علي الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي ، تحـ/ علي النجدي ناصف ، واخرون .
- حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبي"٧٢٥ هـ" تحـ/اكرم عثمان يوسف ، سلسلة كتب التراث ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠ .
- خزانة الادب , ولب لباب لسان العرب ، عبدالقادر بن عمر البغدادي(١٩٠٣ هـ) تحـ . عبدالسلام محمد هارون . مكتبة الخانجي – القاهرة . مط المدني(د.ت) .
- الخصائص : لابي الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢ هـ)تحـ: محمد علي النجار . دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٥٢ .
- دراسات في كتاب سيبويه ، د.خديجة الحديثي ، الكويت .
- دلائل الاعجاز ، للامام عبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ)قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي – مط المدني ١٩٨٤ .
- الشاهد واصول النحو : خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت ، ١٩٧٤ .
- سر الفصاحة ، لابي محمد عبدالله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي(ت ٤٦٦ هـ) شرح و تصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مط محمد صبيح ١٩٦٩ .

- سيبويه امام النحاة : علي النجدي ناصف ، مط : دار البيان العربي ١٩٥٣ .
- سـيبويه امام النحاة في اثار الدارسـين خلال اثني عشـر قرنا , كوركيس عواد / مط المجمع العلم العراقي ١٩٧٨ .
- سيبويه حياته و كتابه . د.خديجة الحديثي ، منشورات وزارة الاعلام ١٩٧٥ .
- الطراز المتضـمن لاسـرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ليحيى بن حمزة العلوي (ت٧٠٥هـ) القاهرة ١٩١٤ .
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي . د.طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ١٩٨٢
- العروض الواضـح لطلبة وأسـاتذة الجامعات والمعاهد العليا . د.ممدوح حقي / مركز الكتب العربية /ط/٢١/١٩٨٨ .
- علم العروض والقافية . د.عبدالعزيز عتيق/ دار النهضة العربية/بيروت/١٩٧٤ .
- العمدة في محاسـن الشـعر وآدابه ونقده :لابي علي الحسـن بن رشـيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)تحـ . محمد محيي الدين عبدالحميد ، مط: دار الجيل – بيروت – ط٥ / ١٩٨١ .
- فنون بلاغية – البيان والبديع – د. احمد مطلوب .دار البحوث العلمية – الكويت ط١ /١٩٧٥ .
- فهارس كتاب سـيبويه . محمد عبدالخالق عضـيمة . مط السـعادة – بمصـر / ط١/١٩٧٥ .
- فهرس شواهد سيبويه : احمد راتب النفاخ ، دار الارشاد – دار الامانة ، ط١ / ١٩٧٠ .
- كتاب سيبويه : لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)ط بولاق ١٣١٦ هـ .
- كتاب سيبويه ، تحـ . عبدالسلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت و مطابع دار القلم – القاهرة ١٩٧٥ .
- كتاب الصناعتين , لابي هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ)تحـ : د.مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ط٢/١٩٨٩ .
- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)دار صادر/ بيروت ١٩٥٦ .
- اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد / القاهرة . ١٩٦٠ .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الاثير(ت ٦٣٧ هـ) تحـ/محمد محيي الدين عبدالحميد/القاهرة . ١٩٣٩م .
- المجاز في البلاغة العربية . د.مهدي صالح السامرائي .مط الدعوة ، سوريا ، ط١ / ١٩٧٤ .
- مجاز القرآن : ابو عبيدة معمر بن المثنى(ت ٢١٠هـ)تحـ . فؤاد سزكين – دار الفكر – مكتبة الخانجي ط٢/١٩٧٠ .
- مجاز القرآن . خصائصه الفنية و بلاغته العربية ، د.محمد حسين علي الصغير ، وزارة الثقافة والاعلام . بغداد ط١/١٩٩٤ .
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، محمد بدري عبدالجليل،دار الجامعات المصرية ١٩٧٥ .
- مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد/٢٤ ، مط المجمع العلمي العراقي ١٩٧٤ .
- المصطلح الفلسفي عند العرب ، د.عبدالامير الاعسم ، مكتبة الفكر العربي – بغداد ط١ / ١٩٨٥ .
- المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، د.عوض حمد القوزي ، جامعة الرياض ط١/١٩٨١ .
- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت ٢٠٧هـ) . تحـ/محمد علي النجار و احمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب – بيروت ط٣ /١٩٨٣ .
- معاني النحو : د.فاضل السامرائي / مط دار الحكمة – الموصل / ١٩٩١ .
- معجم المصطلحات البلاغية و تطورها : د.احمد مطلوب / مط/ المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ .
- مفتاح العلوم : السكاكي (ت ٦٢٦هـ) تحـ/نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ / ١٩٨٣ .
- المفضليات : ابو العباس المفضل بن محمد الضبي (ت ١٨٩هـ) شرحها حسن السندوبي مط الرحمانية بمصر ، ط١/١٩٢٦ .